منزلة اليقين في الدعوة إلى الله

The status of certainty in calling to God

إعداد

د/ محمد بن عبدالله عبدالرحمن العضيبي

أستاذ مساعد بقسم الدعوة والرقابة، بكلية أصول الدين والدعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

منزلة اليقين في الدعوة إلى الله

محمد بن عبدالله عبدالرحمن العضيبي

قسم الدعوة والرقابة- بكلية أصول الدين والدعوة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : dr.mohammed.alodaibie@gmail.com

الملخص :

إن اليقين أعلى درجات الإيمان، وأتم صفات أهل العلم، وهو "بمنزلة الروح من الجسد" لذا كان من تمام صفات أهل العلم والدعوة، ولا تكون شجرة الدعوة كاملة النظرة إذا لم تسق بالعلم اليقيني، فإذا ضعف في قلوب العاملين بحقول الدعوة فكيف سنصل به إلى المدعوين، وهذا يجعل على الدعاة مسؤولية كبرى في الترقي بدرجات العلم والإيمان فهم المبلغون عن الله تعالى.

وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث، الأول: المراد باليقين في الدعوة إلى الله، ومراتبه، والثاني: ثمرات تحقيقه في الدعوة إلى الله، ومجالاته، والثالث: موانع تحقيقه في الدعوة إلى الله، وسبل تحصيله.

وأبرز النتائج التي توصلت إليها: أن المراد باليقين برأي الباحث: الإيمان الجازم الذي لا يخالطه شك، وأن من أبرز ثمراته في الدعوة: الثبات، وقوة العزيمة، وقوة الحجة، والإمامة في الدين، وأن أهم مجالاته في الدعوة: اليقين بأن الله ﷻ حق، وأن الدين حق وما جاء به حق، وأن الدين منصور، وأن أبرز موانعه في الدعوة إلى الله: ضعف العلم، وضعف العمل، وأن من أهم سبل تحصيله في الدعوة: العلم بالله، والنظر في الآيات الكونية، والتدبر في كتابه ﷻ.

وأوصي بالكتابة بمجالات اليقين في الحقول الدعوية، وبالقيام بدراسات ميدانية للكشف عن واقعه لدى الدعاة مبرزة للأسباب المانعة للعمل على معالجتها، وبالقيام بإعداد دراسات ميدانية للكشف عن واقع تأثر المدعوين بيقين الدعاة وأساليب ذلك للعمل على إبرازها.

الكلمات المفتاحية: اليقين ، الدعوة ، الداعية ، استجابة المدعو ، الإيمان .

The status of certainty in calling to God

Muhammad bin Abdullah Abdul Rahman Al-Udaibi
Department of Da'wah and Oversight - College of Fundamentals of Religion and Da'wah - Imam Muhammad bin Saud Islamic University - Kingdom of Saudi Arabia
Email: dr.mohammed.alodaibie@gmail.com

Abstract :
Certainty is the highest level of faith, and the most perfect of the attributes of the people of knowledge, and it is "like the soul is to the body." Therefore, it is one of the most complete attributes of the people of knowledge and advocacy. The tree of Da'wah will not be complete in outlook if it is not watered by certain knowledge. If it is weak in the hearts of those working in the fields of Da'wah, then how will we reach it with it? Those who are called, and this places on the preachers a great responsibility in advancing the levels of knowledge and faith, as they are the informants of God Almighty.
I divided it into three sections: the first: what is meant by certainty in the call to God, and its levels, the second: the fruits of achieving it in the call to God, and its areas, and the third: the impediments to achieving it in the call to God, and the ways to achieve it.
The most prominent results that I reached are: What is meant by certainty, in the researcher's opinion, is firm faith that is not mixed with doubt, and that among its most prominent fruits in the call are steadfastness, strength of resolve, strength of argument, and leadership in religion, and that its most important areas in the call are certainty that God, may He be glorified and exalted, is true. And that religion is true and what it brought is true, and that religion is victorious, and that its most prominent obstacles to calling to God are weakness of knowledge and weakness of work, and that among the most important ways of attaining it in calling is knowledge of God, consideration of the cosmic verses, and contemplation of His Book, may He be glorified and exalted.
I recommend writing about certainty in the fields of advocacy, and conducting field studies to reveal its reality among preachers, highlighting the reasons preventing work to address it, and preparing field studies to reveal the reality of the callers being affected by the certainty of preachers and the methods for working to highlight it.

Keywords: Certainty, Call, Preacher, Response To The Caller, Faith.

مقدمـــــــة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ، وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[٣].

أما بعد:

فإن اليقين أعلى درجات الإيمان، وأتم صفات أهل العلم، وهو "بمنزلة الروح من الجسد" [٤] لذا كان من تمام صفات أهل العلم والدعوة التحلي به، فهم القدوات الذين يأخذ الناس عنهم، ولا تكون شجرة الدعوة كاملة النظرة إذا لم تسق بالعلم اليقيني، وإذا ضعف اليقين في قلوب العاملين بالحقول الدعوية فكيف سنصل به إلى المتبوعين من المدعوين إلى الله تعالى، وهذا يجعل على الدعاة إلى الله تعالى مسؤولية كبرى في الترقي بدرجات العلم

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠ – ٧١..

(٤) مدارج السالكين في منازل السائرين، ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط٢، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م، ٢/ ٣٩٧.

والإيمان فهم المبلغون عن الله تعالى، وبهم يستن الناس ويهتدون إلى ربهم وخالقهم ﷻ.

وهذه الدراسة ستتناول منزلة اليقين في الدعوة إلى الله تعالى، وما يتضمن ذلك من مراتب وثمرات ومجالات وغيرها مما سيأتي بيانه في ثنايا هذه الدراسة.

أولاً: أهمية الموضوع:

- إن اليقين هي منزلة تطلع إليها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الذين هم أئمة الدعاة إلى الله تعالى فكان حريًا لمن خلفوهم من الدعاة التطلع إليها.
- إن طريق الدعوة محفوف بالكثير من العقبات التي لا يكاد أن يصبر عليها إلا من آتاه الله اليقين.
- إن الداعية الموقن يحصل له من الطمأنينة والثبات ما لا يحصل لغيره.
- إن يقين الداعية بدعوته هو طريق ليقين المدعو به.
- إن الإمامة في الدين للدعاة إلى الله لا تكون إلا بيقين.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

- الحاجة إلى دراسة تعنى باليقين في الدعوة إلى الله تعالى.
- مكانة اليقين في حياة الأنبياء عليهم السلام الذين هم قدوات الدعاة إلى الله تعالى.
- الغفلة عن أثر اليقين على دعوة الداعية إلى الله تعالى.

ثالثًا: إشكالية الدراسة:

تدور حول التعرف على منزلة اليقين في الدعوة إلى الله تعالى من حيث المفهوم، والثمرات، والمجالات، والموانع، وأسباب التحصيل.

رابعًا: منهج البحث:

وحيث إن هذه الدراسة من الدراسات التأصيلية فقد اعتمد الباحث فيها المنهج الاستقرائي: الذي يقوم على تتبع الجزئيات من خلال أسلوب الملاحظة ونحوه للوصول إلى النتائج الكلية والأحكام العامة[١]، وذلك من خلال استقراء النصوص الشريعة ومظان ذلك من كلام أهل العلم ثم دراستها دراسة دعوية بحسب تقسيمات الدراسة.

خامسًا: أهداف الدراسة:

١. بيان مفهوم اليقين ومراتبه.
٢. التعرف على ثمرات تحقيق اليقين في الدعوة إلى الله تعالى.
٣. بيان مجالات اليقين في الدعوة إلى الله تعالى.
٤. التعرف على موانع تحقيق اليقين في الدعوة إلى الله تعالى.
٥. بيان سبل تحصيل اليقين في الدعوة إلى الله تعالى.

سادسًا: حدود الدراسة:

سوف تكون الدراسة مقتصرة على بيان مفهوم اليقين والدعوة إلى الله تعالى، وبيان مراتب اليقين، ثم التعرف على ثمرات تحقيقه، ومجالاته في الدعوة إلى تعالى، وموانع ذلك، وسبل تحصيله في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

سابعًا: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في مظان الدراسات العلمية وسؤال أهل الاختصاص، تبين للباحث عدم وجود دراسة علمية تناولت موضوع اليقين

(١) انظر: البحث العلمي، حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، عبد العزيز الربيعة، دار النشر (بدون)، ط٦، ١٤٣٣هـ، ١٧٨.

في الدعوة إلى تعالى، مع وجود دراسات أخرى في تخصصات مختلفة تناولت موضوع اليقين بحسب التخصصات التي تنتمي إليها، وهي:

- المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرة الله سبحانه وتعالى ودلالاته التربوية، للباحث د. مبارك بن محسن الشعبي. (١)

قسم الباحث بحثه إلى ثلاثة فصول، جاء في الفصل الأول: التعريفات، والأهمية، وفي الفصل الثاني: تحليل لنماذج من قصص التربية على اليقين بقدرة الله سبحانه ورد ذكرها في القرآن الكريم، وفي الفصل الثالث: تحدث الباحث عن عناصر المنهج القرآني في تربية اليقين بقدرة الله سبحانه والمستخلص من تربية الله سبحانه لأوليائه في القرآن والدلالة التربوية فيه.

- اليقين وأثره في حياة المؤمن في ضوء السنة النبوية، للباحثة: هيلة بنت محمد القحطاني. (٢)

قسمت الباحثة بحثها إلى بابين رئيسين، تضمن الأول: معنى اليقين، ومنزلته، ومراتبه، وعلاقته بأعمال القلوب، والباب الثاني: جاء الكلام فيه حول مجالات اليقين وآثاره وثماره.

- اليقين ومكانته التربوية في المعرفة الإسلامية، دراسة تحليلية، للباحث: مأمون بن صالح النعمان. (٣)

قسم الباحث دراسته إلى أربعة فصول، جاء في الأول منها: الحديث عن الإطار العام للدراسة، وفي الباب الثاني: عن مفهوم اليقين ومكانته

---

(١) رسالة ماجستير في التربية الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن، ١٤٢٢هـ.

(٢) رسالة ماجستير، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك خالد، أبها، ١٤٣٠هـ.

(٣) رسالة دكتوراه في الأصول الإسلامية للتربية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٦هـ.

التربوية والمعرفية، والثالث: عن الوسائل التربوية لتحقيق اليقين رسوخًا وارتقاءً، وفي الفصل الرابع: عن الأساليب التربوية لتحقيق اليقين.

- اليقين في القرآن الكريم، للباحثة د. وفاء بنت عبدالله الزعاقي. (١)

قسمت الباحثة بحثها إلى أربعة مباحث، جاء في المبحث الأول منه: الحديث عن دلالات اليقين في الكتاب والسنة، وفي المبحث الثاني: منزلة اليقين في الكتاب والسنة، وفي المبحث الثالث: منهج الكتاب والسنة في بناء اليقين، وفي المبحث الرابع: مانع اليقين وسبل مواجهته.

ولا شك أن الباحث أفاد من الدراسات المذكورة في بعض الجوانب التأصيلية وبعض التقسيمات وأساليب العرض، إلا إن الفرق الجوهري الذي توجهت إليه دراسة الباحث هو ما يتعلق باليقين في الدعوة إلى الله تعالى وما يرتبط بذلك من محاور يختلف في تناوله وتوظيفه للأدلة والشواهد والتطبيقات عما قدمته الدراسات العلمية المذكورة.

ثامنًا: تقسيمات الدراسة:

المقدمة، وتشمل:

- أهمية الموضوع.
- أسباب اختيار الموضوع.
- إشكالية الدراسة.
- منهج البحث.
- أهداف الدراسة.
- حدود الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- تقسيمات الدراسة، وهي:

(١) بحث محكم، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، ١٤٣٧هـ.

المبحث الأول: المراد باليقين في الدعوة إلى الله، ومراتبه.

المطلب الأول: المراد باليقين في الدعوة إلى الله.

المطلب الثاني: مراتب اليقين.

المبحث الثاني: ثمرات تحقيق اليقين في الدعوة إلى الله، ومجالاته

المطلب الأول: ثمرات تحقيق اليقين في الدعوة إلى الله.

المطلب الثاني: مجالات اليقين في الدعوة إلى الله.

المبحث الثالث: موانع تحقيق اليقين في الدعوة إلى الله، وسبل تحصيله.

المطلب الأول: موانع تحقيق اليقين في الدعوة إلى الله.

المطلب الثاني: سبل تحصيل اليقين في الدعوة إلى الله.

المبحث الأول: المراد باليقين في الدعوة إلى الله، ومراتبه.

المطلب الأول: المراد باليقين في الدعوة إلى الله.

أولاً: المراد باليقين:

- **اليقين في اللغة:**

يعود اشتقاق اليقين إلى الفعل يَقِنَ وأيقن يُوقن إيقانًا فهو موقن، ويَقِن ييقن يقينًا فهو يقن، وتيقّنت بالأمر، واستيقنت به.

واليقين زوال الشك فهو نقيضه، وهو حصول العلم الجازم بعد نظر واستدلال [١]

إذا فاليقين يدور حول نقض الشك، وتحقيق الأمر، وطمأنينة القلب، والعلم الجازم بالأمر، وزوال الحيرة، وذلك بعد نظر واستدلال.

- **اليقين في الاصطلاح:**

المتأمل في كلام من عرفوا اليقين اصطلاحا من أهل العلم يجدهم يدورون في تعريفه حول المعنى اللغوي، مع تنوع في صياغة تلك التعريفات وإضافة ما يرونه من مصطلحات تتمحور نحو الاتجاه الذي يراه تبيانًا لهذا التعريف من حيث وصف المتيقن أو أثر يقينه ونحو ذلك، ومن أبرز التعريفات الاصطلاحية في ذلك:

- قال الجرجاني: "هو طمأنينة القلب على حقيقة الشيء، يقال: يقن الماء في الحوض إذا استقر فيه" [٢]

---

(١) انظر: معجم العين، الخليل الفراهيدي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ٤/ ٤١٣، ولسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ٣/ ١٥ ، ومقاييس اللغة، ٦/ ١٥٧.

(٢) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م١/ ٣٣٢.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "اليقين هو طمأنينة القلب، واستقرار العلم فيه، وضد اليقين الريب وهو نوع من الحركة والاضطراب" [١].
- قال ابن القيم: "اليقين وهو الإيمان الجازم الثابت الذي لاريب فيه ولا تردد ولا شك ولا شبهة"[٢].
- قال الإمام ابن رجب: "العلم الحاصل للقلب بعد النظر والاستدلال" [٣]
- قال السعدي: "اليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل"[٤].

ومما يلاحظ في بعض هذه التعريفات أنها تصف الأثر كطمأنينة القلب لا اليقين نفسه، أو الأثر من حيث ما يدفع إليه اليقين من العمل الدال عليه، أو التكرار كتكرار الريب والشك وهما في معنى واحد.

لذا فإن اليقين في تصور الباحث هو: **الإيمان الجازم الذي لا يخالطه شك.**

ثانيًا: المراد بالدعوة:

- **الدعوة في اللغة:**

الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاءً [٥].

---

(١) الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م، ٣/٣٢٩.

(٢) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت) ط٥، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م، ٢٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، ١/ ١٣-١٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٤٠.

(٥) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، م عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ، ٢/ ٢٧٩.

وهي تدور حول: الطلب، والنداء، والسؤال، والحث، والاستغاثة، والأمر، والدعاء[١] .

- **الدعوة في الاصطلاح:**

تنوعت تعريفات الباحثين في علم الدعوة حول مفهومه، من خلال تعريفات متعددة يرى الباحث أنها حققت المراد من التعريف إلا أن بعضها توسعت في جوانب تزيد على التعريف كتناول الأهداف الدعوية، أو الأساليب والوسائل ونحو ذلك.

لذا يرى الباحث أن تعريف الدعوة في الاصطلاح، هو:

عملية تبليغ الإسلام، بالطرق المشروعة، مراعية إدراكه بصورته الصحيحة.

وفي هذا التعريف شمول للعملية الدعوية بجميع صورها، فيدخل فيها كل عملية يبلغ من خلالها الإسلام بأي وسيلة قديمة أو حديثة وبأي أسلوب كان، على أن يكون ذلك كله مشروعًا إذ الوسائل والأساليب غير المشروعة ليست داخلة في ذلك، ولابد أن تكون الدعوة مراعية إدراك المدعو لحقيقته وبالصورة الصحيحة، حيث إن النشر الذي لا يحقق إدراك المدعو لحقيقة الدعوة يخل بها، فلا يخاطب العامي بلغة العالم، ولا الأعجمي كالعربي، ولا الصغير كالكبير ونحو ذلك، وأيضًا لا بد من كونها تنقل الإسلام بصورته الصحيحة غير مزيفة بمفاهيم مشوهة إذ إن ذلك لا يصور للمدعو حقيقة الإسلام الناصعة.

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٤/ ٢٥٧-٢٥٨، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، دار العلم للملايين، ط١، ١٤٠٤هـ، ٢/ ٢٣٣٧

المطلب الثاني: مراتب اليقين.

مما تتقدم يتبين أن اليقين هو أعلى درجات المعرفة إذ بها ينتفي الشك تمامًا، فقد يكون المرء عالماً بأمر غير موقن به فيخالج قلبه نوع من الاضطراب نحوه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ثم اليقين ينتظم منه أمران: علم القلب، وعمل القلب، فإن العبد قد يعلم علمًا جازمًا بأمرٍ ومع هذا فيكون في قلبه حركة واختلاج من العمل الذي يقتضيه ذلك العلم، كعلم العبد أن الله رب كل شيء ومليكه ولا خالق غيره، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن فهذا قد تصحبه الطمأنينة إلى الله والتوكل عليه وقد لا يصحبه العمل بذلك، إما لغفلة القلب عن هذا العلم والغفلة هي ضد العلم التام وإن لم يكن ضدًا لأصل العلم، وأما للخواطر التي تسنح في القلب من الالتفات إلى الأسباب وإما لغير ذلك"[1]؛ فإذا كان علمًا بالأمر علما مدركًا يتحقق به حقيقة العلم ويسمى به عالماً، إلا إن اليقين هو أعلى من ذلك إذ هو مع العلم قد زال عنه خواطر الشك واضطراباته؛ لذا "يقولون: شك ويقين، وقلّما يقال شك وعلم، فاليقين ما يزيل الشك دون غيره من أضداد العلوم"[2] قال الجرجاني عن اليقين: "العلم الذي لاشك معه"[3]

إلا إن اليقين مراتب بعضها فوق بعض، جاءت في كتاب الله، وهي النحو التالي من الأدنى إلى الأعلى:

---

(١)الفتاوى: ٣/ ٣٢٩

(٢) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط (بدون)، ١/ ٣٧٤.

(٣) التعريفات، ٢٨٠.

- المرتبة الأولى: علم اليقين، وهو علم حقيقي يصل به إلى القلب خالصًا من الشك والارتياب، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾[١]
- المرتبة الثانية: عين اليقين، وهي المعاينة والمشاهدة البصرية، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾[٢]
- المرتبة الثالثة: حق اليقين، وهو المدرك بالمباشرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾[٣]وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[٤] .

قال أبو بكرٍ الورّاق: " اليقين على ثلاثة أوجهٍ: يقين خبرٍ، ويقين دلالةٍ، ويقين مشاهدة"[٥].

قال ابن القيم: "وهو على ثلاث درجاتٍ، الدّرجة الأولى :علم اليقين. وهو قبول ما ظهر من الحقِّ، وقبول ما غاب للحقِّ، والوقوف على ما قام بالحقِّ، الدّرجة الثّانية: عين اليقين. وهو المغني بالاستدراك عن الاستدلال، وعن الخبر بالعيان، وخرقِ الشُّهود حجابَ العلم، الدّرجة الثّالثة: حقُّ اليقين. وهو إسفار صبح الكشف، ثمّ الخلاص من كُلْفة اليقين، ثمّ الفناء في حقِّ اليقين"[٦] ثم بين ذلك في موطن آخر فقال: "وَهَذِه الْمرتبَة هِيَ أول مَرَاتِب الْيَقِين وَهِي علمه وتيقنه وَهِي الْكَشَّاف الْمَعْلُوم للقلب بِحَيْثُ يُشَاهِدهُ وَلَا يشك فِيهِ كانكشاف المرئي لِلْبَصَرِ ثمَّ يَليهَا الْمرتبَة الثَّانِيَة وَهِي مرتبَة عين الْيَقِين

(١) سورة التكاثر، الآية: ٥.

(٢) سورة التكاثر، الآية: ٧.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٩٥.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٥١.

(٥) الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن القشيري، دار المعارف، القاهرة، ط (بدون)، ٤٣٦.

(٦) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ٣/ ١٧٨ وما بعدها.

ونسبتها إلى الْعين كنسبة الأول إلى الْقلب ثمَّ تَلِيهَا الْمرتبَة الثَّالِثَة وَهِي حق الْيَقِين وَهِي مُبَاشرَة الْمَعْلُوم وإدراكه الإدراك التَّام فالأولى كعلمك بَأن فِي هَذَا الوَادي مَاء وَالثَّانِي كرؤيته وَالثَّالِثَة كالشرب مِنْهُ"[1].

وقد أوضحها الشيخ السعدي: "واليقين مراتبه ثلاثة، كل واحدة أعلى مما قبلها: أولها: علم اليقين، وهو العلم المستفاد من الخبر، ثم عين اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة البصر، ثم حق اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة الذوق والمباشرة"[2]

ولاشك أن الدعاة إلى الله تعالى يتفاوتون في مقدار علمهم ويقينهم، فكلما كان الداعية مرتقيًا في مراتب اليقين كان لدعوته الأثر الأكبر في الثبات وقوة الحجة ونحو ذلك مما سياتي بيانه في ثمرات اليقين، وكذلك في أثره على المدعو إذ المدعو هو الثمرة المرجوة من شجرة الدعوة، لذا نجد علو مرتبة اليقين لدى الصحابة رضوان الله عليهم لما جنوه من المدرسة النبوية كحال الصديق حينما كان في الغار فقال له الرسول ﷺ : "ما ظنك باثنين الله ثالثهما"[3] ونحو ذلك من الآثار التي نلمس فيها ما علموه أو رأوه أو عايشوه مع النبي ﷺ فكان لذلك الأثر في يقينهم رضي الله عنهم.

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (بدون)، ١/ ١٤٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٨٨٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير –سورة براءة–، باب قوله: ثاني اثنين إذ هما في الغار، ٦٦/٦ ح: ٤٦٦٣.

المبحث الثاني: ثمرات تحقيق اليقين في الدعوة إلى الله، ومجالاته

المطلب الأول: ثمرات تحقيق اليقين في الدعوة إلى الله.

لا شك أن ليقين الداعية إلى الله ثمرات كبرى تعود على دعوته، وهذه الثمرات هي من أبلغ الثمرات وأينعها، وبدونها قد تخور قوى الداعية وينعكس ذلك على ضعف دعوته أو توقفها، وهي كلها تدور حول اليقين بالله وبما جاء عنه جل جلاله، وهذه الثمرات هي على النحو التالي:

أولاً: الثبات على الحق:

إن طريق الدعوة إلى الله طريق تحفه المكاره والصعوبات، فالداعية يقوم بخلاف ما تتطلع إليه أهواء الناس ورغباتهم، إذا الأنفس قد غرس فيها حب الشهوات، قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [(١)] "فتزيين الله بالإيجاد والتهيئة للانتفاع، وإنشاء الجبلة على الميل إلى الدنيا، وتزيين الشياطين بالوسوسة والخديعة). [(٢)]

والهوى يميل بالناس إلى الباطل حتى يكون مقام الإله، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[(٣)]، وهنا كله يجعل على الداعي إلى ربه جهداً كبيراً، ومن نظر إلى سير المرسلين عليهم السلام علم علم اليقين أن طريق الدعوة من أشق الطرق وأصعبها، ولو اصطحبنا بعض المشاهد من كتاب الله تعالى لرأينا ذلك واضحاً جلياً، ومن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ٤/ ٢٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.

ذلك قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾[1]، "(وزلزلوا) خوفاً من الأعداء زلزالاً شديداً وامتحنوا امتحاناً عظيماً" [2]. ومثلها قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[3]

وهذا كله يجعل الداعية إلى الله متخذاً العدة المناسبة لمثل ذلك إذ به يستطيع الصبر على الحق، وتحمل المكاره، يقول الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [4] .

لذا يقول الحسن البصري: (ولا صبر على الحق إلا بيقين) [5] فالموقن بنصر الله، وبعون الله وبأن هذا الدين حق من عند الله ليس كغيره ممن لم يصل إلى درجة اليقين والتي هي أعلى درجة من العلم المجرد، والابتلاء هو العلامة لصدق اليقين، قال ابن تيمية: (فأهل اليقين إذا ابتلوا ثبتوا بخلاف غيرهم) [6]، وسبب ذلك هو الطمأنينة لتدبير الله جل وعز، قال ابن رجب: "فمن حقق اليقين وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبير الله"[7]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ،١/ ٥٧١

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

(٤) سورة الروم، الآية: ٦٠.

(٥) فتح الباري، ابن رجب، ١/١٤.

(٦) الفتاوى، ابن تيمية، ٣/٣٣٠.

(٧) جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ٦٤٥

ولذلك أهل الثبات هم أولوا العزم من الرسل الذين هم قدوات للدعاة إلى الله صبروا وثبتوا ولم يستعجلوا، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ ﴿٣٥﴾﴾ (١)

وفي حادثة الإسراء والمعراج نجد اليقين متجلياً في موقف الصديق رضي الله عنه من خبر ذلك لما قص عليه، فثبت رضي الله عنه بيقينه ولم يتزعزع، فعندما "أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر الصديق" (٢)

ثانياً: قوة العزيمة:

الدعوة إلى الله تعالى تحتاج من الداعية إلى عزيمة قوية تسهل عليه طريقها، وذلك لما تقدم من عقبات ومشاق في طريق الدعوة، ولما للعزيمة القوية من أثر بالغ على تحقيق الغايات الدعوية، فصاحب العزيمة لا يستوي هو ومن تردد في مطلوباته، فالمتردد يلتفت إلى كل منادٍ فيتعطل سيره، وهذا لأنه لا يقين لديه بصحة ما توجه إليه، وهذا بخلاف الداعية الموقن بما أمر الله به، وبما وعد به، فغايته واضحة، وأهدافه يقينية، فهو لا يتطلع إل آراء الآخرين التي تؤخره دربه، وحينما كان ما جاء هو الحق

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، كتاب: معرفة الصحابة، ح: ٤٤٥٣ وقال: صحيح الإسناد، ٥/ ٤٧٦.

المبين الواضح الذي لا شك فيه، قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ (١). فيبلغ رسالة ربه ولا يضره من خالفه، قال ابن القيم: (الحق هو اليقين) (٢). وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير) (٣)، ومما قاله النووي في معنى القوة: (عزيمة النفس) (٤).

فاليقين يحث النفس على العمل، قال سفيان الثوري –رحمه الله–: (لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطارت القلوب اشتياقاً إلى الجنة، وخوفاً من النار) (٥). ولأن الداعي إلى الله في عزمه قد تعلق قلبه بالله وحده، وذلك لما امتلئ يقيناً به، قال ابن رجب: (فمن حقق اليقين وثق بالله في أموره كلها، ورضى بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاءً وخوفاً) (٦).

فعلى الداعي الموقن بالله تعالى أن يشد من عزمه، ويتوكل في ذلك على ربه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (٧) (وتوكل: فيما تأتي في أمورك وتدع، وتحاول أو تزاول، على ربك، فثق به في كل ذلك) (٨).

---

(١) سورة النمل، الآية: ٧٩.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، ٣/ ١٧١

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوم والأمر بالعجز، ٨/ ٥٦، ح: ٢٦٦٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، ٢١٥/١٦.

(٥) فتح الباري، ابن رجب، ١/ ١٥.

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ٦٤٥.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار هجر، مصر، ١٤٢٢هـ، ٦/ ١٩١.

(ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نوراً واشراقاً، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط، وهم وغم، فامتلأ محبة لله، وخوفاً منه، ورضا به، وشكرا له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل لها) [١].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [٢] (وقد هدانا لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها) [٣]. ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ﴾[٤] أي: ولنستمرن على دعوتكم ووعظكم وتذكيركم ولا نبالي بما يأتينا منكم من الأذى"[٥].

ثالثاً: قوة الحجة:

إن الداعية إلى الله تعالى يتوجه عمله نحو اقناع الناس بهذا الدين القويم، وهو بذلك يحتاج إلى حجة قوية يستند إليها، وقبل أن يبادر المدعوين بالإقناع لابد أن تكون حجته في نفسه يقينية لا يساورها شك، وهو بذلك أجدر في المحاججة والإقناع، فقد يكون الداعية عالماً بما يدعو إليه، وقد بنى علمه على أدلة صحيحة ومنهج سليم، لكنه لا زال في بعض المسائل متحيراً متردداً غير موقن، أو ثمت درجة من اليقين يحتاج الوصول إليها، ولذا نجد أن إبراهيم عليه السلام طلب من ربه درجة من اليقين هي أعلى مما هو عليه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، ٢/٣٧٥.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٤٨٣.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١٢.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٤٢٢.

وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾ [1] ، فهو بذلك يقول عليه السلام: (فأرني كيف تحييها لأعاين فأزداد يقيناً، فعاتبه الله تعالى: ﴿ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ ﴿٢٦٠﴾[2]يا رب علمت وآمنت ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾[3] أي ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين لأن الخبر ليس كالمعاينة) [4]. ونقل الطبري عن بعض المفسرين في معنى ذلك: "ليرى ذلك عياناً فيزداد يقيناً" [5]. (وذلك أنه بتوارد الأدلة اليقينية مما يزداد به الإيمان ويكمل به الإيقان، ويسعى في نيله أولو العرفان) [6].

وفي طلب إبراهيم عليه السلام من ربه جانب دعوي أراد به قوة الحجة في محاورة نمرود، قال البغوي: (وقيل كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على نمرود فقال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾[7] قال نمرود: أنا أحيي وأميت، فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر، فقال إبراهيم: إن الله تبارك وتعالى يقصد إلى جسد ميت فيحييه، فقال له نمرود: أنت عاينته، فلم يقدر أن يقول نعم، فانتقل إلى حجة أخرى) [8].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٤) معالم التنزيل، محمد الحسين البغوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١/ ٣٢٢

(٥) جامع البيان، الطبري، ٤/ ٦٢٤.،

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ١١٢.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٨) معالم التنزيل، البغوي، ١/ ٣٢٢

وعلى الداعية أن يترقى في مراتب العلم ليترقى في مراتب اليقين فتقوى حجته، فالله جل جلاله نعت كتابه بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ [١] (أي أعلى مرتب العلم، فإن أعلى مراتب العلم اليقين، وهو العلم الثابت الذي لا يتزلزل ولا يزول) [٢].

والداعية إلى الله الموقن بما لديه من علم عن الله، يقيم على علمه ودعوته الأدلة والبراهين التي توصل المدعو لليقين حتى وإن كان لا يشك فيما يدعو إليه من الحق، وهذا من كمال قوة حجته، قال ابن القيم: (فإنه سبحانه مع كونه أصدق الصادقين يقيم لعباده الأدلة والأمثال والبراهين على صدق أخباره، فيحصل لهم اليقين من الوجهين: من جهة الخبر ومن جهة الدليل) [٣].

رابعاً: الإمامة في الدين:

إن من نعم الله تعالى على عباده الدعاة الموقنين أن يكونوا أئمة في الدين يستن الناس بهم، وينتفعون بعلومهم، وتجرى لهم الأجور بعد وفاتهم، فلا ينقطع ثوابهم، وهذا من جزيل نعيم الله تعالى على الدعاة الموقنين، ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [٤] قال ابن القيم: "أخبر تعالى أنه جعلهم أئمة يأتم بهم من بعدهم لصبرهم ويقينهم؛ إذ بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين فإن الداعي إلى الله تعالى لا يتم له أمره إلا بيقينه للحق الذي يدعو إليه وبصيرته به وصبره على تنفيذ الدعوة إلى الله باحتمال مشاق الدعوة وكف

(١) سورة الحاقة، الآية: ٥١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ١١٢.

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم، ٣٧٧.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

النفس عما يوهن عزمه ويضعف إرادته، فمن كان بهذه المثابة كان من الأئمة الذين يهدون بأمره تعالى، ومن المعلوم أن أصحاب محمد ﷺ أحق، وأولى بهذا الوصف من أصحاب موسى، فهم أكمل يقينا، وأعظم صبرا من جميع الأمم، فهم أولى بمنصب هذه الإمامة، وهذا أمر ثابت بلا شك بشهادة الله لهم وثنائه عليهم، وشهادة الرسول لهم بأنهم خير القرون، وأنهم خيرة الله وصفوته، ومن المحال على من هذا شأنهم أن يخطئوا كلهم الحق، ويظفر به المتأخرون، ولو كان هذا ممكنا لانقلبت الحقائق، وكان المتأخرون أئمة لهم يجب عليهم الرجوع إلى فتاويهم، وأقوالهم، وهذا كما أنه محال حسا وعقلا فهو محال شرعا" [1].

والمراد بقول الله تعالى: ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2] "وكانوا أهل يقين بما دلهم عليه حججنا، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق، وإيمان برسلنا، وآيات كتبنا وتنزيلنا" [3]، قال سفيان بن عينية: (لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوساً) [4].

والإمامة في الدين تقتضي من الداعية مع يقينه وصبره العمل وبذل الوسع، فالله جل جلاله بين بقوله: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[5]، قال ابن القيم: (فحصل من هذا أن أئمة الدين الذين يقتدون بهم هم الذين جمعوا بين الصبر واليقين والدعوة إلى الله بالسنة والوحي لا بالآراء والبدع، فهؤلاء

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م. ٣٩١-٣٩٢.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٣) جامع البيان، الطبري، ١٨/ ٦٣٨

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ٣٧٢.

(٥) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

خلفاء الرسول ﷺ في أمته وهم خاصته وأولياؤه، ومن عاداهم أو حاربهم فقد عادى الله سبحانه وتعالى وآذاه بالحرب) [١].

وفي هذا يقول ابن تيمية عن الإمام أحمد: (فالصبر واليقين بهما تنال الإمامة في الدين فلما قام بذلك قرنت باسمه من الإمامة في السنة ما شهر به وصار متبوعاً لمن بعده، كما كان تابعاً لمن قبله) [٢].

المطلب الثاني: مجالات اليقين في الدعوة إلى الله

إن للداعية إلى الله تعالى أن يتساءل حينما يعلم أن لليقين ثمرات ما المجالات التي يمكن أن يكون اليقين من خلالها حتى يطبق اليقين في حياته الدعوية؛ لذا فإن أبرز المجالات التي يكون اليقين من خلالها في الدعوة إلى الله على النحو التالي:

أولاً : أن الله ﷻ حق:

إن أجل أمر ينبغي ألا يعتريه أدنى شك هو اليقين بالله تعالى، وبأنه حق سبحانه، فهو سنام أمر الداعية، وعليه مدار دعوته، وهو الأصل الذي يعود إليه كل فرع، فإن كان هذا لدى الداعية واضحاً ومتيقناً كانت دعوته منسجمة لا يعتريها أي اضطراب، وأول من يخاطب بذلك الداعية ذاته بأن يكون هو متيقنا إذا إن مرحلة اليقين ليست لكل أحد، والداعية أولى بها لكونه هو من ينوط به التأثير على الناس وجذبهم إلى الإسلام، فكلما كان بالله أيقن كان لدعوته أبلغ الأثر و النفع.

ولا شك أن الجميع مأمورون بالدلالة على الله وإرشاد الناس إليه جل جلاله، لكننا نعلم أن الناس ليسوا على سواء في الوصول إلى مراحل اليقين ودرجاته، وفي ذلك يقول ابن تيمية: (فعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر

(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، ٢١.

(٢) الفتاوى، ابن تيميه، ٣٥٨/٣.

أو ولدوا على الإسلام والتزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله، فهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل، ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم إنما يحصل شيئًا فشيئًا إن أعطاهم الله ذلك، وإلا فكثير من الناس لا يصلون إلى اليقين....) [1]. ثم بين رحمه الله تعالى حقيقة إيمانهم فقال: (وليسوا كفاراً منافقين، بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ولرسوله ما يقدمونه على الأهل والمال) [2].

لذلك فلابد للداعية إلى الله أن يكون موقناً هو في ذاته، عاملاً في دعوته إلى نقل المدعو من الإيمان المجمل الى حقيقة الإيمان ويقينه.

وإن كان مجال الإيمان بالله من الأمور التي ينبغي أن لا يساورها الشك فكل الدلائل دالة عليه ومرشدة إليه جل جلاله، إلا إن ذلك لا يعني أن لا يكون موضوعاً ومجالًا من مجالات اليقين، فالله جل جلاله بين ذلك في كتابة، وذلك على لسان الدعاة من رسله عليهم الصلاة والسلام، حيث قال: ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [3]. (أي: أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده)، وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول، فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى؟، ثم نبهوا على هذا الدليل بقولهم: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[4]. ففي دلالتهم إلى هذا الدليل العقلي والفطري ما يبين عملهم الدعوي في الدلالة على الله.

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢٧١/٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

(٤) مصباح التفاسير القرآنية الجامع لتفسير ابن قيم الجوزيه، جمع: عبدالرحمن القماش، ٥٤.

أما دلالة اليقين في ذلك فإن الشك هو ما يقابل اليقين، قال ابن فارس: (الشك الذي هو خلاف اليقين) وذلك يدل على أن الرسل عليهم السلام كانت تدعو إلى اليقين بالله تعالى، وأنه حق لا مرية فيه سبحانه وتعالى، ولذلك كان جواب موسى عليه السلام حينما سأله فرعون بقول: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾[1] ، قال عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾[2] (أي إن كنتم مستعدين للإيقان طالبين لمعرفة الحقائق غير مكابرين، وسمى العلم بذلك إيقاناً، لأن شأن اليقين بأن خالق السموات والأرض وما بينها لا يشاركه غيره) [3] وأيضا قول الله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾[4]. (ويجوز أن يكون مفعوله مقدراً، أي إن كنتم موقنين في إقراركم إذ سئلتم عمن خلق السماوات والأرض فقلتم الله تعالى خلقهن... علمتم ما يقتضيه) [5]، وذلك لظهور اقتضائه إياه.

ثانياً: اليقين بأن الدين حق وما جاء به حق

إن المرحلة التي تعقب اليقين بالله جل جلاله هي اليقين بدينه الذي ارتضاه لعباده، وهي فرع عن اليقين به سبحانه وتعالى، فإذا أيقين المؤمن أن محمداً حق، وأن الوحي الذي نزل عليه حق، أيقين أن كل ما جاء به

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٤.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط ١٩٨٤م ، ١١٧/١٩.

(٤) سورة الدخان، الآية: ٧.

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٣/ ١١٥.

حق واستقام لديه النظر إلى الأمور، فقد انضبط لديه الأصل، وهو بذلك سينسجم معه كل فرع بني عليه، ويبقى متيقناً لا يتزحزح حتى وإن كان الأمور التي يراها قد لا تستقيم مع نظره الذاتي، ومع تجارب حياته القاصرة، إذ لديه أصل يعتمد عليه ويعود إليه، وهذا نجده ظاهراً في قصة الصديق – رضي الله عنه حينما أُخبر بحادثة الإسراء والمعراج بغية في التأثير عليه ليتردد ويضطرب فكان رده –رضي الله عنه– (لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟!، قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحه) [١]، وهذا هو الذي يجب على الموقن من التسليم والانقياد لأمر الله تعالى، يقول الطحاوي –رحمه الله–: (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام) [٢]

وهكذا يستوثق بأقوى الأسباب عند تسليمه لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢﴾ [٣]. (والمعنى ومن يسلم إسلاماً لا نفاق فيه ولا شك، فقد أخذ بما يعتصم به من الهويِّ أو التزلزل) [٤] وهو بذلك قد (تعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب، وهو تمثيل لحال المؤمن المخلص المحسن، بحال من أراد رقي شاهق فتمسك بأوثق عرى الجبل المتدلي منه) [٥]

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.، ١/ ٢٣١.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٢.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢١/ ١١٧.

(٥) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ٨/ ٣٤.

بل نجد أن القرآن الكريم يمتحن القلوب في يقينها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[١]، قال ابن عباس رضي الله عنه: (لنميز أهل اليقين من أهل الشك والريب). [٢]

والعلم والذي جاء من عند الله ينتفع به أهل اليقين قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [٣]. قال الشنقيطي: "هذه الآية تدل بظاهرها على أن البيان خاص بالموقنين..."[٤]. قال الألوسي: (يعلمون الحقائق علماً ذا وثاقه لا يعتريهم شبهة ولا عناد) [٥]. ويدل على ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾[٦] (بحقيقة صحة هذا القرآن، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم، وخص جل ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة؛ لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذب به من أهل الكفر، فكان عليه عمى وله حزن) [٧]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) جامع البيان، الطبري، ١٦/٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٨.

(٤) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط٥، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م، ٣٢.

(٥) تفسير الألوسي، ١/ ٣٦٨.

(٦) سورة الجاثية، الآية: ٢٠.

(٧) جامع البيان، الطبري، ٢١/ ٨٧

وإذا علم الداعية إلى الله ذلك كان عليه الترقي في درجات اليقين في ذاته وفي أسلوب دعوته ليوصل المدعو إليها، وهذا هو الأسلوب الذي نزل به القرآن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "إنما نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّل فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ :لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ :لَا تَزْنُوا لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ :﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ"(١)

وحينما قلنا إن الداعية يسلم أمره لله تعالى والتي هي علامة من علامات اليقين بالله تعالى وبدينه جل وعز، نجد أن هذا التسليم في الخطاب القرآني جاء في أصله موجها للمؤمنين، حيث قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾(٢) . وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ (٣)

ثم جاء النهي عن ما ينازع اليقين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (٤)، قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ

(١) صحيح البخاري، فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ١٨٥/٦ ح:٤٩٨٠.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ (١) وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ (٢) وغيرها من الآيات .

فيكون اليقين بكل أمور الدين كالمغيبات أو الأوامر والنواهي الشرعية أو الأحكام التعبدية، والحكم الشرعية، أو الأخبار ونحو ذلك ...

ثالثاً: أن الدين منصور.

من المجالات التي يعزز من خلاله الداعية إلى الله تعالى جانب اليقين هي أن الدين منصور، وهذا الأمر لابد أن يستشعره الداعية في كل جوانب حياته الدعوية وألا يغيب عنه البتة.

وإذا نظرنا إلى الشواهد الدالة على حفظ الله لهذا نجدها كثيرة منها قوله ﷺ ((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزً يعزل الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر)). (٣)

وعند مسلم من حديث ثوبان، قال: قال رسول الله : ((إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها..)) (٤).

---

(١) سورة النور، الآية: ٥١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١.

(٣) رواه أحمد في المسند، مسند الشاميين، حديث تميم الداري، ٢٨/ ١٥٤ح: ١٩٦٥٧، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، المستدرك، ٤/ ٤٧٧ ح: ٨٣٢٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ٨/ ١٧١، ح: ٢٨٨٩.

ينما نجد الدين الإسلامي يحارب من قبل أعدائه الذين لا يريدون له الظهور ولا العلو، لكن هذا الدين ظاهر، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [١] . (يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب أن يطفئوا نور الله). أي: ما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق بمجرد جدالهم وافترائهم فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس، أو نور القمر بنفخة، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل الله به رسوله لابد أن يتم ويظهر) [٢].

ولذلك بين الله جل جلاله، أن من لم يمتثل أمره فسيعذبه، وأن عدم امتثاله لا تضر إلا نفسه، بينما هذا الدين منصور، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [٣]. (فإن الله متكفل بنصر دينه وإعلاء كلمته، سواء امتثلتم لأمر الله، أو ألقيتموه وراء ظهوركم) [٤]. فالله جل جلاله (قادر على الانتصار من الأعداء بدونكم) [٥]. ومثله كذلك جاء في سورة محمد، قال الله تعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم ۝٣٨﴾ [٦] (يهلككم ثم يجيء بقوم آخرين غيركم

(١) سورة الجمعة، الآيتان: ٨-٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١٣٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٩.

(٤) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ٣٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١٥٤.

(٦) سورة محمد، الآية: ٣٨.

بدلاً منكم يصدقون به، ويعملون بشرائعه) وهذا كله يبين أن الدين منصور ولا يقتضي الأمر أن تكون النصرة بك أيه الداعية محصورة دون غيرك.

ويؤكد أن هذا الدين منصور من عند الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [١] (وأن الله لا يناله نفع من ذلك، وأنهم لو ارتد منهم فريق أو نفر لم يضر الله شيئاً، وسيكون لهذا الدين اتباع وأنصار، وإن صد عنه من صد) [٢]. فهذا الدين (لا يعدم أتباعاً بررة مخلصين، ومعنى هذا الوعد إظهار الاستغناء عن الذين في قلوبهم مرض وعن المنافقين، وقلة الاكتراث بهم). [٣]

قال ابن عاشور: (وفي نزول هذه الآية في أواخر حياة الرسول إيماء إلى ما سيكون عليه ارتداد كثير من العرب عن الإسلام) [٤]

والآيات التي تشير إلى هذا المعنى متعددة كقول الله تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [٥] وقول الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦/ ٢٣٤

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦/ ٢٣٤

(٤) المرجع السابق.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٧.

أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[1]

وسنة الله هي النصرة لهذا الدين وأهله، قال الله تعالى ﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾[2] قال ابن كثير: (أي: هذه سنة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلى نصر الله الإيمان على الكفر ،فرفع الحق ووضع الباطل ، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم الله على أعدائه المشركين، مع قلة عدد المسلمين وعُدَدِهم، وكثرة المشركين وعددهم) [3]. قال ابن القيم: (فإن قيل: فقد قاتلوهم يوم أحد وانتصروا عليهم ولم يولوا الأدبار؟ قيل هذا وعد معلق بشرط مذكور في غير هذا الموضع، وهو الصبر والتقوى وفات هذا الشرط يوم أحد بفشلهم المنافي للصبر، وتنازعهم وعصيانهم المنافي للتقوى فصرفهم عن عدوهم ولم يحصل الوعد لانتفاء شرطه) [4]

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٣٢-٣٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٧/ ٣٤١.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط٣، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م، ٢٢٧.

المبحث الثالث: موانع تحقيق اليقين في الدعوة إلى الله، وسبل تحصيله

المطلب الأول: موانع تحقيق اليقين في الدعوة إلى الله

إن الدعوة إلى الله تعالى من الأعمال التي يحتاج معها الداعية إلى الصبر والمصابرة لما يكتنفها من عقبات ومعوقات وتحديات. واليقين بوعود الله هو أحد الأسباب المهمة الجالبة للنتائج الدعوية إلا إن ثمت موانع وحواجز تؤثر في اليقين عند العمل الدعوي، ومن أبرزها:

أولاً: ضعف العلم:

وضعف العلم مؤداه إلى الجهل، وحيث إن اليقين أحد أهم السمات التي لا ينبغي للداعية إلى الله أن تثمر دعوته إلا بها، يقول الله جل جلاله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (١). قال الطبري: (وكانوا أهل يقين بما دلهم عليه حججنا، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق، وإيمان برسلنا، وآيات كتابنا وتنزيلنا) (٢). قال السعدي: (وصلوا في الإيمان بآيات الله إلى درجة اليقين وهو العلم التام الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين لأنهم تعلموا تعليماً صحيحاً، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين..)

ومن المعلوم أن ضعف اليقين الذي يسببه الجهل أحد خوارم الإمامة في الدين ومنها الدعوة إلى الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فمن أعطي الصبر واليقين جعله الله إماماً في الدين) (٣)

وضعف العلم في أمر اليقين يكون على صور منها أن يكون ضعيفاً في العلم اليقيني المتعلق بأمور دينه، ومقاصد شريعته، غير مدرك لليقينيات

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٢) جامع البيان، الطبري، ١٨/ ٦٣٨.

(٣) الفتاوى، ابن تيمية، ٨/١٢.

فيها، أو يكون الضعف في أمور الغيبيات التي يجب أن يسلم في أدلتها موقناً بها غاية اليقين، والذي يستلزم فيه معرفة الحجج والبراهين لها حتى يكون سليم الحجة، واضح الغاية، رصيناً في منهجه وطريقته في الاستدلال. فكيف يكون داعية مؤثراً وهو غير مدرك للأدلة والحجج لما يدعوا إليه.

والعلم هو سبيل وصول الداعية إلى اليقين؛ ولذا جاء الخطاب في أمور الغيبيات التي يصل فيه المرء إلى الحق من خلال العلم اليقيني بأمورها، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾[1] (ولكن لعدم العلم الحقيقي، صيركم إلى ما ترونأي لترون القيامة فلترون الحجيم التي أعدها الله للكافرين) [2]

والداعية البصير العالم بمقتضيات الأدلة الشرعية يعلم علماً يقينياً أن حكم الله أحسن الأحكام، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [3]، قال ابن كثير: "ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به، وأيقين وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء" [4]

والجهل نقيض العلم الذي يجب أن يكون عليه الداعية إلى الله، لذا فإن الجهل سمة الكافرين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤﴾ [5]

---

(١) سورة التكاثر، الآيتان ٥-٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي، ٩٣٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ١٣١

(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٤.

وفيما تقدم الإشارة إلى أهمية اليقين في حق الداعية إلى الله، وكونه سمة من سماته، حيث إن اليقين الذي ينبغي أن يكون عليه الناس يكون من خلال الدعاة إليه، وهذا لا يتأتى مع كون الداعية فاقداً لذلك، ففاقد الشيء لا يعطيه، بل قد يكون إثمه أكبر من نفعه، وذلك يتبين عند المواطن التي تتطلب منه القناعة والإيمان التام بما يقدم وكأنه يراه رأي العين.

إن الدعوة إلى الله بلا يقين هي كالجسد بلا روح، وبها لا يحصل التمكين الذي ينبغي أن يكون الداعية عليه، حيث تهتز ثقة المدعوين به، ويضعف تأثيره أو يتلاشى فضلاً أن يكون أسوة يحتذى بعد أن يمكن الله له في قلوب المدعوين.

وإذا خسر الداعية يقين المدعو بصدقه وصحة دعوته، هنالك قد لا تجدي دعوته شيئاً، والأمر يتطلب منهم أن يصدقوه في ذاته حتى يصدقوا بما جاء به من الحق والهدى، ولذا نجد أن قريشاً قد أيقنت بأمانه النبي ﷺ فهو الذي اتفقوا على وضعه للحجر الأسود، وأودعوا عنده الودائع، فبقيت في حوزته وهو الداعية إلى الإسلام وهم أعداؤه، وذلك حتى هجرته، ومن قبل سموه بالأمين، كل ذلك يبين أهمية علم الداعية بأثر يقينه في دعوته عليها.

وما وصل إليه الرسل والأنبياء في دعواتهم، وكونهم قدوات يحتذى بهم هو نتاج هذا العلم الذي أوصلهم إلى اليقين، قال الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ (٢)، ويأمر الله جل جلاله

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

نبيه محمد ﷺ بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1]، وهي سمة الدعاة إلى الله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[2]

وحيث إن الخشية ثمرة من ثمرات اليقين فقد خص بها أهل العلم، قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[3] .

ثانياً: ضعف العمل:

إن العلم ليس بكاف للوصول إلى مراتب اليقين، إذ لابد من تصديق العلم بالعمل، فقد يكون المرء عالماً بالحق لكنه غير متبع له ولا مأتمر بأمره، حينها قد يذهب به عدوله عن العمل بالعلم إلى الزيغ والضلال، قال الله تعالى: ﴿فلما زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾[4]. قال ابن كثير: "فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخلان". [5]

والزيغ والشك والحيرة هي ضد اليقين الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم، والتي يكون علامتها العمل بالعلم، وهذه هي عقوبة لمن حاد عن اتباع الحق، قال القرطبي: (وقيل: أي لما تركوا ما أمروا به من احترام الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعة الرب، خلق الله الضلالة في قلوبهم عقوبة لهم على فعلهم).[6]

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الصف، الآية: ٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٠٩/٨

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ٨٣

والعمل بالعلم يورث الثبات على الحق والذي هو سمة من سمات اليقين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فأهل اليقين إذا ابتلوا ثبتوا بخلاف غيرهم، فإن الابتلاء قد يُذهب إيمانه أو ينقصه) (١)

والثبات جاء مقروناً بالعمل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾(٢). قال السعدي: (...وهذا هو الذي ينبغي للعبد أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا..) (٣). أو قال في أثر ذلك: (حصول التثبيت والثبات وزيادته) (٤). وفي قوله تعالى: ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ (٥): (لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم من كونها متضمنة للعلم بالحق، ومحبته وإثاره، والعمل به). (٦)

ولذا نص ابن تيمية رحمه الله على أن العمل بموجب العلم أحد الأمور التي يحصل بها اليقين. (٧)

والعامل بالعلم الذي جاء عن الله تعالى يهديه الله سبحانه به إلى سبل النجاة، ومناهج الاستقامة، وهذا هو مراد الدعاة إلى الله تعالى.

---

(١) القول المبين فيما يجب على المكلف، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٥ – ١٩٩٥، ٢٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ١٨٥

(٤) المرجع السابق.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ١٨٥

(٧) انظر: القول المبين، ابن تيمية، ٣٠– ٣١.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]. "ينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك، فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجب الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوم حالة" [2] وهذا هو غاية اليقين الذي ينبغي أن يكون عليه الداعية إلى الله تعالى، إذ أنه في دعوته يعترضه ما يعترضه من قطاع الطرق من أصحاب الشبهات التي يلبسون بها، فإذا تبين للداعية المسلك الواضح، وهداه الله إلى الحق والصواب كان ذلك قواماً لدعوته وسبباً عظيماً في قبولها.

والداعية الذي لا يعمل بعلمه هو عرضة لذهاب اليقين عن قلبه، إذ العمل بالعلم هو ثبات واستقرار له، وفي هذا يقول أبو العباس ابن تيمية: "وأما العمل، فإن العمل بموجب العلم يثبته ويقرره، ومخالفته تضعفه، بل قد تذهبه" [3].

ولأن اليقين هو المغذي لأعمال الجوارح كان لفقدانه الأثر البالغ عليها، وفي هذا يقول ابن القيم: "فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره"[4]. وقال أيضاً: "وهو من الإيمان منزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل

(١) المائدة، الآيتان: ١٥-١٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٦٨

(٣) القول المبين، ابن تيمية، ٣٦.

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم، ٣٧٤.

العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه، واشارتهم كلها إليه" (١).

واليقين هي الدرجة التي عليها الأنبياء الذي هم قدوات للدعاة في دعوتهم، ولذا نجد أنه سبحانه وجههم إلى العمل بعلمهم، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (٢)، والمراد بالرباني كما قال سعيد بن جبير هو العالم الذي يعمل بعلمه(٣). وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (٤) أي هو نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه، ولغيره، لازم ومتعد). وقول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (٥). وقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾(٦). وقول الله

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، ٣٧٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

(٣) انظر: التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١١٢/٨، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله ابن عمر البيضاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، – ١٤١٨ هـ.، ١١٧/١.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٦) سورة الجمعة، الآية: ٥.

تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾[1].

وغيره من الأدلة الدالة على عمل الداعية بعلمه، وهي كما تقدم سمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي ذلك أذكر عبارة لطيفة لابن الجوزي: (من لم يعمل بعلمه لم يدر ما معه، حامل المسك إذا كان مزكوماً فلا حظ له فيما حمل)[2]

المطلب الثاني: سبل تحصيل اليقين في الدعوة إلى الله تعالى

إن من أهم المواطن التي ينبغي الحديث عنها عند التحدث عن اليقين في العمل الدعوي هي التعرف على سبل تحصيله، حتى تؤدي الدعوة إلى الله تعالى ثمارها، ولذا سأتناول الحديث في هذا المطلب عن سبل تحصيله من خلال النقاط التالية:

أولاً: العلم بالله تعالى:

إن من أهم الطرق للوصول إلى اليقين هي العلم بالله تعالى، وبما اتصف به من نعوت الجلال والتعظيم والإكرام ، وهذا العلم يحقق الثمرة المرجوة وهي اليقين به جل جلاله واليقين بوعده ووعيده، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ۝٢٨﴾ [3]. قال الطبري: (إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء وبقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأنه من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢-٣.

(٢) كتاب اللطف في الوعظ، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.، ٤٣.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨

فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه) [١] وهكذا(فكل من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله الانكفاف عن المعاصي والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم[٢]، وفي هذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني) [٣]. ذلك أن الخشية هي إحدى دلائل اليقين في القلب، فمن علم بالله وأيقن بما جاء عنه، حصل له من الخشية ما يجعله متقرباً إلى الله ومجانباً دواعي عقابه وعذابه.

ولذلك فإن العالم بالله تعالى يزداد يقينه إذا تليت عليه آياته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾[٤]. قال الطبري: (وإذا قرأت عليه آيات كتابه صدق بها وأيقن أنها من عند الله فازداد بتصديقه بذلك إلى تصديقه بما كان قد بلغه من قبل ذلك)[٥].

وعلامة اليقين هي التصديق والإخبات إلى الله والإذعان إليه، قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٤﴾ [٦]. "فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ: تخشع وتسكن". [٧]

(١) جامع البيان، الطبري، ١٩/ ٣٦٤.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٦٨٨
(٣) معالم التنزيل، البغوي، ٦/ ٤١٩.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢.
(٥) جامع البيان، الطبري، ١١/ ٢٧.
(٦) سورة الحج، الآية: ٥٤.
(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٢/ ٨٧

والداعية العالم بالله تعالى الموقن بوعده، هو الأكثر خشية واخباتاً، وهو في حال التقلبات التي تطرأ في ميادين الدعوة أكثر ثباتاً وسكينة، حيث إن اليقين يورث الطمأنينة بموعود الله، ويطرد ما في النفس من شك أو تردد أو يأس.

ثانياً: النظر في الآيات الكونية:

إن ديدن الأنبياء الذين هم قدوات الدعاة هو التفكر والتأمل في ملكوت السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [1] وذلك "ليستدل بها وليكون من الموقنين" [2]. ولذلك نجد أن الله جل شأنه فصل لنا الآيات وبينها لنا لكي يتحقق اليقين بوعده ووعيده، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾[3]. قال الطبري: "يفصل لكم ربكم آيات كتابه، فيبينها لكم احتجاجاً بها عليكم أيها الناس... لتوقنوا بلقاء الله، والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده" [4]

وإذا نظرنا ايضاً في كتاب الله تعالى نجد أنه يوجه الأنظار إلى الآيات الكونية المورثة لليقين بالله جل وعز، قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ٣٦١

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢.

(٤) جامع البيان، الطبري، ١٣/ ٤١٣.

ءَايَتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ (١).

وهكذا حال الداعية إلى الله تعالى حتى في دعوته فإنه يلفت الأنظار إلى التدبر في ملكوت السموات والأرض ومن أوجدها ومن يرعاها، وذلك ليتحقق اليقين لدى المدعو فهذا جواب موسى –عليه السلام– حينما سأل فرعون في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾(٢)فكان رد موسى عليه السلام: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ (٣). (أي: كما توقنون هذه الأشياء التي تعاينونها فأيقنوا أن إله الخلق هو الله عز وجل)(٤).

وهذا الرد ليس أسلوباً دعوياً لموسى –عليه السلام– فحسب بل هو أسلوب قرآني في إثبات اليقين بالله من خلال النظر في الآيات الكونية قال الله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ (٥). ومثلها في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾(٦)، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ

(١) سورة الذاريات، الآيات ٢٠–٢٣.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٤.

(٤) معالم التنزيل، البغوي، ٦/ ١١١.

(٥) سورة الدخان، الآيتان: (٧–٨).

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾ (١). قال ابن كثير: "يُرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه، وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات الأرض، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع من الملائكة والجن والإنس، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات، وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وما أنزل الله تعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه، وسماه رزقًا؛ لأن به يحصل الرزق، {فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أي: بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء.

وقوله: {وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ} أي: جنوبا وشمالًا، ودبورًا وصبًا، بحرية وبرية، ليلية ونهارية. ومنها ما هو للمطر، ومنها ما هو للقاح، ومنها ما هو غذاء للأرواح، ومنها ما هو عقيم لا ينتج، وقال أولاً: {لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ}، ثم {يوقنون} ثم {يعقلون} وهو تَرَقٍّ من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى"(٢)

ومع أن هذه الأدلة الكونية عظيمة وواضحة الدلالة على اليقين بالله جل جلاله وأنه سبحان هو الخالق لها إلا إن التقين ذاته إذا فُقِد اضطرب الإنسان، واختلت موازينه؛ ولهذا نجد أن الله سبحانه خاطبهم بخطاب صريح وواضح لا ينكره إلا من أنكر عقله، قال الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾(٣)،

(١) سورة الجاثية، الآيات: (٣-٥)

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٢٦٤.

(٣) سورة الطور، الآيتان: (٣٥-٣٦).

و(عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك)[١] فليس (عندهم علم تام ويقين يوجب لهم الانتفاع بالأدلة الشرعية والعقلية) [٢]

ويدل على ذلك ما جاء عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، قال: (سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[٣] كاد قلبي أن يطير) [٤]

ثالثاً: التدبر في كتاب الله تعالى:

إن القرآن الكريم هو أعظم ما يصلح به الداعية قلبه، ويستقي منه موارد اليقين فهو الكتاب الحق من لدن الحق جل جلاله ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [٥]، فلا يغير ولا يزيد ولا ينقص[٦].

فالحكمة من إنزال كتاب تعالى هو تدبره، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [٧]، ففي هذه الآية يبين الله تعالى أن (القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمأخذ العقلية الصريحة) [٨].

والتدبر في كتاب الله يقود إلى اليقين بالله لأن هذا الكتاب إذ لو كان من عند غير الله تعالى لظهر فيه التناقض والاختلاف، قال تعالى: ﴿أَفَلَا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٤٣٧

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٨١٦.

(٣) سورة الطور، الآيات: (٣٥-٣٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور، حديث (٤٨٥٧).

(٥) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٦) انظر: قول السدي وقتادة، الجامع لأحكام القرآن، ١٥/ ٣٦٧.

(٧) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٦٣

يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾[1]. لذلك (حض على التفكير في معانيه لتظهر أدلته وبراهينه)[2] لأن من ضمن (فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين) [3].

والتدبر عمل عقلي يراد منه "إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له وأصله من النظر في دبر الأمر، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء" [4] وهذا ما يريده الداعية إلى الله تعالى عند النظر في سير الأولين من الأمم من قبلنا، وكيف كانت دعواتهم لأقوامهم ، وكيف كانت مواجهتهم لهم وكيف كان ثباتهم عند يقينهم، وذلك عند عواصف الملمات والعقبات الدعوية.

فالتدبر في كتاب الله تعالى من أقوى الأرصدة في حقل الدعوة إلى الله، إذ للتدبر فيه من الفوائد العظيمة، قال ابن القيم: " فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل له، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلهما، وتتل في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول إليه والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم،\ بيروت، ط١ – ١٤١٦ هـ.١/ ٢٠١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ١٨٩.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨/ ٨٧.

ومصـحاتها، وتعرفـه طريـق أهـل الجنـة وأهـل النـار وأعمـالهم وأحـوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه وافتراقهم فيما يفترقون فيه" [١]

فإذا تدبر الداعية كتاب الله وجد فيه العديد من الآيات الدالة على نصرة الله لعباده وتأييده لهم كقول الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [٢] ، وقال: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾[٣] (فإن الجزاء من جنس العمل) [٤]و (هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه والدعوة إليه، وجهاد أعدائه ... فإنهم اذا فعلوا ذلك نصرهم الله وثبت أقدامهم)[٥] وهذا هو مراد الدعاة إلى الله جل جلاله.

لذلك ينبغي عليهم التدبر في كتاب الله والنظر في آياته ومواعظه، قال القرطبي عند تفسير قوله الله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ [٦]، قال: (حث على تأمل مواعظ القرآن، وبين أنه لا عذر في ترك التدبر) [٧]

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، ١/٤٥٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٣) سورة محمد، الآية: ٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٥١٧

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي. ٧٨٥

(٦) سورة الحشر، الآية: ٢١.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ٤٤.

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

ففي ختم هذا البحث أعرض فيه أبرز النتائج والتوصيات التي يسرها الله ﷻ:

أولاً: النتائج:

- أن المراد باليقين في الاصطلاح بعد الاطلاع والنظر فيما ذكره أهل العلم هو في رأي الباحث: الإيمان الجازم الذي لا يخالطه شك.
- أن من أبرز ثمرات تحقيق اليقين في الدعوة إلى الله هي : الثبات، وقوة العزيمة، وقوة الحجة، والإمامة في الدين، وهذا يبين الأهمية البالغة لليقين في الدعوة إلى الله تعالى، فإذا ثبت الداعي إلى الله أمام ما يجتاح طريقه من عقبات، بل قويت عزيمته في القيام بما أمر الله ليقينه بوعده، ثم هو في الأمر ذاته صاحب حجة عند عرض الدعوة أو محاججة خصومها لما امتلئ به قلبه من اليقين الذي يجعله يرى الأمور على حقيقتها، عند ذلك تثمر دعوته الإمامة في الدين لما أوتي من يقين وصبر فيها.
- أن أهم مجالات اليقين في الدعوة إلى الله تعالى: اليقين بأن الله ﷻ حق، وأن الدين حق وما جاء به حق، وأن الدين منصور؛ لأن أولى الناس بذلك هم الدعاة المبلغون عن الله، إذ لابد من يقينهم بالله ﷻ لأنه سنام أمر الدعوة ومدارها، وكل أمر يدعو إليه الداعية يعود ويرتكز إليه، فإذا ضعف يقينه به فقد فقدت دعوته روحها، ثم يتفرع من ذلك اليقين بأن الدين حق وما جاء به حق وهذا يشمل العقائد والشرائع والأخلاق، ثم بعد ذلك ما يهم الداعية إليه ويشغل باله هو هذا الدين والنصرة له فلابد أن يوقن بوعد الله بنصرة هذا الدين وبقاءه.

- أن أبرز موانع تحقيق اليقين في الدعوة إلى الله: ضعف العلم، إذ به يضعف اليقين أو يزول لأن اليقين هو أعلى درجات العلم فكلما نقص العلم نقص معه تباعًا اليقين، و ثمت مانع آخر وهو ضعف العمل، بل هو مانع وعلامة إذ إن الموقن بما معه من العلم هو أولى الناس تمسكًا به وتطبيقًا له؛ لأن ذلك سمة لصدقه، وهذا في حق الدعاة أبلغ فهم القدوات، فإذا لم ير المدعوون أثرًا لعلمهم الذين يلقونه ضعف قبولهم له فقد يظنون أن ذلك مثلبًا في صدق ما يدعون إليه، وهو مانع لكون اليقين مما يهبه الله لعبده، وكل ما كان الداعية إلى ربه أقرب كان بها أجدر.
- أن من أهم سبل تحصيل اليقين في الدعوة إلى الله تعالى: العلم بالله تعالى، والنظر في الآيات الكونية، والتدبر في كتابه ﷻ، فالداعية إلى الله معه من أوعية العلم ما يجعله يديم النظر فيها، فمن تأمل في عظمة الله وأسماءه وصفاته وملكوته ونعوت الجمال وتمام القدرة ما يفتق في قلبه منابع الإيمان، ويزيل عنه حجب الشك والريبة، ويلبسه لباس الطمأنينة واليقين، ثم ينظر لما أرشد إليه تعالى وهو أيضا ما نظر إليه الدعاة والمرسلون من قبله من عظمة خلق السموات والأرض وما بث الله فيهما من دلائل العظمة والقوة والقدرة والعلم ما يجعل الداعية يوقون بالله ﷻ تمام اليقين وبما جاء عنه سبحانه، ويؤيد ذلك ما ختمت به الآيات القرآنية الحاثة على التفكر في الآيات الكونية من نعوت اليقين ترغيبًا وحثًا على ذلك، والأمر الثالث من سبل تحصيله هو التدبر في كتاب الله تعالى ففيه التوجيهات الربانية والدلائل الإلهية ما يجعل الداعية موقنا بالله ﷻ حيث قص الله قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وما واجهوه من أقوامهم وكيف تعاملوا مع ذلك وما يتضمن ذلك

قصص تحكي يقينهم وثباتهم وبما وجهه ﷻ لهم من وصايا وأوامر تحكي يقينهم وصدق إيمانهم.

ثانيًا: التوصيات:

- أوصي نفسي والدعاة إلى الله تعالى بذل الوسع للترقي في درجات العلم والإيمان للوصول إلى مراتب اليقين من خلال سبل الوصول المذكورة.
- أوصي الباحثين في مجال الدعوة توجيه دراساتهم نحو التوسع في الكتابة ببعض مجالات اليقين في الحقول الدعوية لما يتضمن ذلك من أهمية بالغة تمس حاجة الدعوة بصورة ظاهرة.
- أوصي الباحثين في مجال الدعوة القيام بإعداد دراسات ميدانية للكشف عن واقع اليقين لدى الدعاة إلى الله على أن تكون مبرزة للأسباب المانعة إن وجدت للعمل على معالجتها.
- أوصي الباحثين في مجال الدعوة القيام بإعداد دراسات ميدانية للكشف عن واقع تأثر المدعوين بيقين الدعاة إلى الله وأساليب ذلك للعمل على إبراز ذلك للدعاة إلى الله للاستفادة منه.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١، – ١٤١٨ هـ.

٣. البحث العلمي، حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، عبد العزيز الربيعة، دار النشر (بدون)، ط٦، ١٤٣٣هـ، ١٧٨.

٤. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط ١٩٨٤م .

٥. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ط١ – ١٤١٦ هـ.

٦. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٧. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٨. التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار هجر، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ

١١. جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

١٢. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ
١٣. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط٥، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م.
١٤. رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، ابن قيم الجوزية، ت: عبد الله بن محمد المديفر، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت) ط٥، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م.
١٥. الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن القشيري، ت: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، ط (بدون).
١٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
١٧. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط٣، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م.
١٨. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
١٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، دار العلم للملايين، ط١، ١٤٠٤هـ، ٢/ ٢٣٣٧.
٢٠. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق ط٥، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.
٢١. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٢. الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م
٢٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٢٤. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط (بدون).
٢٥. القول المبين فيما يجب على المكلف، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٥ – ١٩٩٥
٢٦. كتاب اللطف في الوعظ، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢٧. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ٣ ، ١٤١٤هـ.
٢٨. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ
٢٩. مدارج السالكين في منازل السائرين، ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط٢، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩ م.
٣٠. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المنهاج القويم للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م.
٣١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٢. مصباح التفاسير القرآنية الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمع وترتيب: عبد الرحمن القماش (نسخة إلكترونية).
٣٣. معالم التنزيل، محمد الحسين البغوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ

٣٤. معجم العين، الخليل الفراهيدي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ٢٠٠٢م
٣٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، م عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ.
٣٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (بدون).
٣٧. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

References :

- al8ran alkrym.

1. e3lam almo83yn 3n rb al3almyn ،m7md bn aby bkr abn 8ym algozya ،dar alktb al3lmya – byrot 61**1411** ،h**1991 – .**m.
2. anoar altnzylwasrar altaoyl ،3bd allh bn 3mr albydaoy ،dar e7ya2 altrath al3rby – byrot 61 ،- **1418** h..
3. alb7th al3lmy ،78y8th،wmsadrh،wmadth،wmnahgh ،3bd al3zyz alrby3a ،dar alnshr (bdon) ،66 ،1433h ،178.
4. alt7ryrwaltnoyr ،m7md al6ahr abn 3ashor ،aldar altonsya ، tons ، 6 1984m .
5. altshyl l3lom altnzyl ،m7md bn a7md abn gzy alklby alghrna6y ،dar alar8m bn aby alar8m – byrot 61 - **1416** h..
6. alt3ryfat ،3ly bn m7md algrgany ،dar alktb al3lmya byrot - lbnan ،61**1403** ،h**1983– .**m.
7. tfsyr al8ran al3zym ،esma3yl bn 3mr bn kthyr ،dar alktb al3lmya ،byrot ،61 ،1419h..
8. altfsyr alkbyr ،m7md bn 3mr alrazy ،dar e7ya2 altrath al3rby ،byrot ،63 ،1420h..
9. tysyr alkrym alr7mn fy tfsyr klam almnan ،3bd alr7mn bn nasr als3dy ،m2ssa alrsala ،61 ،1420h..
10. gam3 albyan 3n taoyl ay al8ran ،m7md bn gryr al6bry ،dar hgr ،msr ،61 ،1422h.
11. gam3 al3lomwal7km ،3bd alr7mn bn shhab aldyn alshhyr babn rgb ،dar abn kthyr ،dmsh8 – byrot ،61**1429** ، h**2008 – .** m.
12. algam3 la7kam al8ran ،m7md bn a7md al8r6by ،dar alktb almsrya ،al8ahra ،62 ،1384h.
13. df3 eyham alad6rab 3n ayat alktab ،m7md alamyn alshn8y6y ،dar 36a2at al3lm (alryad) - dar abn 7zm (byrot) ،65**1441** ، h**2019 – .** m.

14. rsala abn al8ym ely a7d e5oanh ،abn 8ym algozya ،t: 3bd allh bn m7md almdyfr ،dar 36a2at al3lm (alryad) - dar abn 7zm (byrot) 65**1440** ، h**2019 – .** m.
15. alrsala al8shyrya ،3bd alkrym bn hoazn al8shyry ،t: d. 3bd al7lym m7mod ،d. m7mod bn alshryf ،dar alm3arf ،al8ahra ، 6 (bdon).
16. ro7 alm3any fy tfsyr al8ran al3zymwalsb3 almthany ، shhab aldyn m7mod bn 3bd allh alalosy ،dar alktb al3lmya – byrot ،61**1415** ، h..
17. zad alm3ad fy hdy 5yr al3bad ،m7md bn aby bkr bn ayob abn 8ym algozya ،dar 36a2at al3lm (alryad) - dar abn 7zm (byrot) ،63**1440** ، h**2019 – .** m.
18. shr7 al38yda al67aoya ،abn aby al3z al7nfy ،m2ssa alrsala – byrot ،610**1417** ،h**1997 – .**m.
19. als7a7 tag allghaws7a7 al3rbya ،esma3yl algohry ،dar al3lm llmlayyn ،61 ،1404h**2337 /2** ،..
20. s7y7 alb5ary ،abo 3bd allh m7md bn esma3yl alb5ary ،dar abn kthyr ،dar alymama – dmsh8 65**1414** ، h**1993 – .** m.
21. s7y7 mslm ،mslm bn al7gag ،m7md f2ad 3bdalba8y ،dar e7ya2 alktb ،61 ،1412h.
22. alftaoy alkbry ،a7md bn 3bd al7lym abn tymya ،dar alktb al3lmya ،61**1408** ،h**1987 – .**m
23. ft7 albary shr7 s7y7 alb5ary ،3bd alr7mn bn a7md bn rgb al7nbly: mktba alghrba2 alathrya – almdyna ،61**1417** ، h **– .. 1996** m.
24. alfro8 allghoya ،abo hlal al3skry ،t: m7md ebrahym slym ، dar al3lmwalth8afa llnshrwaltozy3 ،al8ahra msr ،6 (bdon).
25. al8ol almbyn fyma ygb 3la almklf ،a7md bn 3bd al7lym abn tymya ،dar abn 7zm ،61 ،1415 – 1995

26. ktab all6f fy alo3z ،abn algozy ،dar alktb al3lmya ،byrot ، 61 ،1405h..
27. lsan al3rb ،abn mnzor ،dar sadr ،byrot ،6 3 ، 1414h..
28. m7asn altaoyl ،m7md gmal aldyn al8asmy ،dar alktb al3lmya ،byrot ،61 ،1418h.
29. mdarg alsalkyn fy mnazl alsa2ryn ،abn 8ym algozya ،dar 36a2at al3lm (alryad) - dar abn 7zm (byrot) ،62**1441** ،h – **2019** m.
30. almstdrk 3la als7y7yn ،m7md bn 3bd allh al7akm alnysabory ،dar almnhag al8oym llnshrwaltozy3 ،sorya ،61 ، 1439h**2018** .m.
31. msnd al emam a7md bn 7nbl ،m2ssa alrsala ،61**1421** ،h – **2001**m.
32. msba7 altfasyr al8ranya algam3 ltfsyr abn 8ym algozya ، gm3wtrtyb: 3bd alr7mn al8mash (ns5a elktronya).
33. m3alm altnzyl ،m7md al7syn albghoy ،dar e7ya2 altrath al3rby ،byrot ،6 1 ،1420h.
34. m3gm al3yn ،al5lyl alfrahydy ،dar alktb al3lmya byrot ،61 ، 2002m
35. m3gm m8ayys allgha ،a7md bn fars bn zkrya ،m 3bdalslam m7md haron ،dar alfkr ،6 1399h..
36. mfta7 dar als3adawmnshorwlaya al3lmwal erada ،m7md bn aby bkr bn ayob abn 8ym algozya ،dar alktb al3lmya – byrot ،6 (bdon).
37. alogyz fy tfsyr alktab al3zyz ،3ly bn a7md aloa7dy ،dar al8lm ،aldar alshamya - dmsh8 ،byrot ،61**1415** ، h..